



## معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 2022/07/10

تاريخ القبول: 2022/11/15

Printed ISSN: 2352-989X

Online ISSN: 2602-6856

منهج سيبويه الرياضي في التبويب وعلاقته بمفهوم التكافؤ

## *Sibawayh mathematical approach to tabulation and its relationship to the concept of equivalence*

مریم قطیع<sup>1\*</sup> ، محمد بن حجر<sup>2</sup><sup>1</sup> جامعة يحيى فارس المدية (الجزائر)، [meriemg993@gmail.com](mailto:meriemg993@gmail.com)<sup>2</sup> جامعة يحيى فارس المدية (الجزائر) ، [ebnhadjjer@gmail.com](mailto:ebnhadjjer@gmail.com)

## الملخص:

تعد قضية التبويب بالغة الأهمية، وهو أمر منهجي لا بد منه، في الدراسات اللسانية، وقد أصبح الإشكال يدور حول ضرورة معرفة المنهج العلمي المتبع في تبويب وترتيب أبواب المؤلفات عامة والنحوية خاصة، وسنعرض في هذا المقال لمنهج سيبويه الرياضي في التبويب الذي يعكس طرائق النحاة في التبويب، ومدى تمثلهم لمفهوم الباب النحوي كمجموعة رياضية قائمة على التكافؤ الرياضي هذا الفكر الرياضي الذي أخذه على شيخه الخليل بن أحمد ، وقد اقتصرنا على الكتاب لسيبويه كونه أول كتاب في النحو يحمل آراء الخليل وعقليته الرياضية في التبويب، فماهو منهج سيبويه في التبويب النحوي؟ وما علاقته بمفهوم التكافؤ الرياضي من وجهة لسانية، وكيف يمكن استثمار فكر الخليل الرياضي اللساني في ترقية اللغة خدمة اللغة العربية في مجالات شتى لسانية وتكنولوجية؟

**الكلمات المفتاحية:** الفكر الرياضي، الباب النحوي، التكافؤ الرياضي، سيبويه.

## ABSTRACT

The issue of tabulation is very important, and the problem has become about the need to know the scientific method used in tabulating and arranging the sections of literature in general and grammatical in particular. tabulation, and the extent to which they represent the concept of the grammatical section as a mathematical group based on mathematical equivalence, and we have confined ourselves to the book of Sibawayh as it is the first book in grammar that carries

Al-Khalil's views and his mathematical mentality in tabulation, so what is Sibawayh approach to grammatical tabulation? What is its relationship to the concept of mathematical equivalence from a linguistic point of view, and how can the linguistic mathematical thought of Khalil be invested in promoting language and serving the Arabic language in various ?linguistic and technological fields

**Keywords:** Mathematical thought, grammatical section, mathematical equivalence, Sibawayh.

## 1. مقدمة:

إن الملامح التبويب عند النحاة جانباً من جوانب التفكير النحوي ، وقد كان النحو قبل ظهور كتاب سيبويه على شكل مسائل متفرقة لا تضمها قاعدة معينة، فقد بدأ المتحرون أولاً بجمع المادة اللغوية، ومن ثم تبويبها وتصنيفها «بطرق المشافهة والحفظ دون منهج معين في ترتيب المادة المجموعة أو تبويبها» (شكري، 1434-1435هـ/ 2013-2014م،، صفحة 12)، والمقصود بأن المسائل النحوية كانت متفرقة هو أن ما جاء به أبو الأسود الدؤلي من أبواب في المرفوعات والمنصوبات لا يتعدى كونها مسائل نحوية اضطروا إلى وضعها لحفظ اللغة من اللحن؛ وسبب ذلك أنه لم يكن علم النحو هدفهم الوحيد من جمع اللغة، بل كان هدفهم هو دراسة اللغة صوتاً، وصرفاً، وتركيباً، ولم يهتموا بعلم دون آخر في مرحلة الإرهاصات الأولى لتقعيد اللغة، بل كانت دراسة النحو مرتبطة بعدة علوم أخرى كال تفسير والأدب والبلاغة، ومن أعلام هاته المرحلة أبو الأسود الدؤلي، وعيسى بن عمر الثقفي، ثم جاء من بعدهم عبد الله بن أبي إسحاق الذي كانت له آراء في النحو، وقيل إن أول من بعج النحو ومد القياس والعلل، أما بداية تطور مفهوم الباب فقد كانت على يد علماء البصرة كيونس بن حبيب، والخليل بن أحمد حيث اكتسب الباب مفهوماً أكثر وضوحاً، ومعظم آرائهم النحوية احتواها الكتاب لسيبويه، وعليه فإن ما سبق كتاب سيبويه كان عبارة عن مسائل متشعبة في النحو، فقد بُحِثت كل مسألة من هذا العلم على حدة، فكان لا بد من وضع المادة كاملة تحت تصرف النحوي.

«ومن الطبيعي أن يكون البحث اللغوي عند العرب قد بدأ في شكل جمع المادة اللغوية أو ما يعرف بمصنوع اللغة، فقد تم هذا الجمع أولاً بطرق المشافهة والحفظ، دون منهج معين في ترتيب المادة المجموعة أو تبويبها» (أمين، 1933، صفحة 78 ج1)، ومن ثم فقد تناول سيبويه المادة النحوية بالتحليل والنظر الدقيق، وهو جعل منه إمام النحاة وجعل كتابه قرآن النحو، أما بعد القرن الثاني للهجرة فكان لتباين طرائق التبويب بين النحاة أثر على الدرس النحوي، وهذا التباين في طرق التبويب ناتج عن رؤى منهجية معينة يراها النحوي، ولذلك فإننا نجد النحاة يتفقون تارة في مسائل التبويب، ويختلفون تارة أخرى؛ فمنهم من قسم أبواب كتابه حسب أنواع الكلم (اسم، فعل، حرف) ومنهم من قسمها حسب أواخر الكلم (مرفوعات، منصوبات، مجرورات)، وفيما يأتي عرض للأسس المنهجية التي اعتمد عليها النحاة في طريق تبويبهم.

إن مفهوم الباب النحوي من المفاهيم الرياضية التي عدت وسيلة من وسائل التحليل المنهجي لعلم النحو، وما يدل على ذلك ارتباط هذا المفهوم لدى النحاة بمفهوم رياضي آخر ألا وهو مفهوم النظر، ومن ثم يستبعد أن يكون النحاة الأوائل قد قصدوا بالباب النحوي مفهوم الجنس الأرسطي، وما يندرج تحته من أنواع وفصول منتمة على أساس المشابهة، بل إن الباب النحوي ذو ماهية رياضية يقوم على مفهوم المجموعة التي قد تكون خالية، وقد تكون وحيدة العنصر، وقد تكون محتوية على عدة نظائر متكافئة في مجرى البنية وأساس الانتماء هو التكافؤ في المجرى لا غير.

كما يجذر بنا في هذا المقام أن نشير إلى الدراسات السابقة حول الموضوع التي كانت لها الأهمية البالغة في توضيح هذا المعنى لأول مرة في اللسانيات الحديثة ألا وهو د عبد الرحمان الحاج صالح في نظريته الخليلية الحديثة ، كما لانسي د محمد بن حجر أستاذ بجامعة المدية يحيى فارس الذي كان له الفضل في تقديم محاضرات مبسطة شكلت لنا المفهوم الأولي لفكر الخليل الرياضي و د الفاضلة التي وفقت أياً توفيق في مذكرة دكتوراه بعنوان التفكير الرياضي في علوم العربية وكانت لي مذكرة ماستر بعنوان المفاهيم الرياضية عند النحاة كانت حصيلة لمحاضرات د محمد بن حجر و مفاهيم الحاج صالح رحمه الله ، إلا أن الدافع الحقيقي وراء لبحثنا هذا هو نفص الغبار على الكنوز التي يحويها التراث العربي و تشجيع الباحثين والدارسين إلى الغوص في غمار البحث العلمي الخليلي الذي يحوي نظرية نحوية رياضية دقيقة تعاصر التطور الرياضي المعاصر ومن شأنها أن تساهم في ترقية وتطوير اللغة العربية في مجالات حاسوبية وتكنولوجية عالية من خلال الأساس الرياضي الذي بنيت عليه هذه المفاهيم المثبوتة في كتاب الكتاب لسيوية لذلك وقع اختيارنا على منهج سيويه الرياضي في التوب فما هو منهج سيويه في التوب النحوي؟ وما علاقته بمفهوم التكافؤ الرياضي من وجهة لسانية، وكيف يمكن استثمار فكر الخليل الرياضي اللساني في خدمة اللغة العربية في مجالات شتى لسانية وتكنولوجية؟

## 2. ترتيب الأبواب النحوية وفق مفهوم رياضي لساني:

### 1.2 منهج سيويه في التوب:

لقد انفرد سيويه بمنطقه الأصيل الذي ورثه عن أستاذه الخليل، كما كان معاصراً بمنهجه وأفكاره، بل إن ما جاء به لم يتفطن إليه الغرب إلا في السنين الأخيرة، فلم يتوصل اللسانيون الغرب إلى ما توصلوا إليه الآن إلا بفضل الاطلاع على مادة الكتاب لسيويه ومنهجه في ذلك، « فالتحو الغربي وبواسطة كتاب سيويه على الخصوص كان له تأثير على النحو عند الغرب قديماً وحديثاً، وأن البنوية والتوزيعية والتحويلية والوظيفية وحتى التداولية والسياقية ما كان لها لتظهر لولا ما ترجمة الغربيون من نحو سيويه» (بن حجر، 2022، صفحة 01) وكثير من هذه الأفكار حسبها الغرب جديدة مع أنها تعد من البديهيات لدى اللسانيين العرب قديماً وحديثاً.

ومن المفاهيم التي بنى سيويه عليها كتابه مفهوم الباب النحوي كمجموعة رياضية، وما يتعلق به من مفاهيم أخرى كالنظير والمثال، وكل هذا كان حاصل قسمة التركيب، وفيما يأتي عرض لتمثل سيويه للباب النحوي من منظور رياضي.

وستحدث أولاً عن مفهوم القياس عند سيويه كما عبر عنه ( د الحاج صالح عبد الرحمان في كتابه منطق العرب في علوم اللسان ص 316 ) الذي كان حصيلة إنتاج عدة مفاهيم، والتي من بينها الباب النحوي، فقد انفرد النحويون الأوائل بقياس النظائر قبل دخول المنطق الأرسطي بقياس التمثيل، إذ أن القياس التمثيلي الأرسطي بعيد كل البعد عن قياس النظائر لدى النحاة الأوائل، فالأول مبني على المشابهة بين المقيس والمقيس عليه، أما الثاني فيقوم على حمل النظر على النظر لاشتراكهما في مجرى البنية.

وقد أكد محمد الطنطاوي أن: «الكتاب مجهود علمي يدل على دقة سيبويه في الإلمام بالقواعد النحوية، فهو صورة لجهوده وجهود من سبقه من العلماء، إلا أن شخصيته فيه واضحة قوية، وقد ظهرت هذه الشخصية في تركيب الكتاب وتبويبه» (الطنطاوي أبو محمد، 1995، الصفحات 82-83)، فمنهج سيبويه في التبويب شكل أنموذجا لعقول معاصريه ومن أتى بعده من علماء النحو ممن فهموا منهجه الرياضي في التبويب الذي لم يسبقه فيه لا الهنود ولا اليونان، فقد شكلت أبواب الكتاب أساسا قام عليه الدرس النحوي في تطور مباحثه، وهنا تكمن أهميته، فقد كان له التأثير البالغ في الدرس النحوي في العصور التي تلتها، ويرى شوقي ضيف أن للكتاب منهجا سديدا في التصنيف، فقد نسق سيبويه أبوابه وأحكامها إحصاءا دقيقا، خصوصا أنه أول كتاب جامع لقواعد النحو والصرف (ضيف، 2009، صفحة 60)، وهو ما نحاول تتبعه من خلال هذا المقال بإمعان النظر في جهود سيبويه في أبواب كتابه وطريقة بنائها وصياغتها.

هذا وذهبت الدكتورة خديجة الحديثي إلى أن منهج سيبويه في التبويب كان منهجا سديدا بعد أن تعرضت له بالهجوم، وقالت أنه: «لا يسير في ترتيب أبوابه وفصوله ترتيبا منطقيا سليما، فهو يقدم أبوابا من حقها أن تتأخر، ويؤخر أبوابا من حقها أن تتقدم، ويضع فصولا في غير موضعها... ولا يذكر مسائل الباب الواحد متصلة متتابعة، بل يذكر بعضها في موضع وبعضها الآخر في موضع ثان، بعد أن يفصل بينهما بأبواب غريبة عنها، وفي هذه تجزئة للموضوع الواحد، وتفرقة لمسائله في مواضع كثيرة» (الحديثي، 1965، صفحة 67).

ولكن خديجة الحديثي عدلت عن رأيها هذا، وأقرت بالموضوعية والصواب لما بلغه الكتاب من الدقة العلمية، فقالت بعد دراسة معمقة: «وهكذا نرى أن سيبويه قد رتب الكتاب ترتيبا واضحا، وسار فيه على منهج معين منطقي ومتسلسل... إن منهجه كان ولا يزال خير منهج يمكن أن يسير عليه التأليف في هذا العلم الواسع، مع أنه من أوائل الكتب المؤلفة، ولم يجر على كتاب سبقه في الترتيب والموضوعات والمنهج، فهو أول كتاب وصل إلينا في هذا العلم يستمد ببراعة مؤلفه وسعة اطلاعه وإدراكه للموضوعات وتسلسلها» (الحديثي، 1965، صفحة 67).

وليس هذا فحسب، بل إن منهج سيبويه يختلف اختلافا تاما عن منهج النحاة المتأخرين خاصة نحاة ما بعد القرن الرابع الهجري، وتحديدًا النحاة المتأخرون الذين تأثروا بالمنطق الأرسطي، فترتيب سيبويه لمادة الكتاب على هذا النحو إن دل على شيء، فإنما يدل على إدراكه ووعيه الدقيق لمقصوده، وذلك يوضح أن اختلاط الأبواب التي وردت في الكتاب التي أشار إليها الباحثون، وهي التي تنحصر في موضوعات القسم، والمنوع من الصرف كانت من وضع سيبويه، واضعا إياها على قصد ودراية، وإدراكا منه لعلاقة تلك الأبواب بعضها ببعض، كما ذهبت خديجة الحديثي أيضا إلى الرد عما قيل عن كتاب سيبويه بأن اتهامه بالخلط إنما ينم عن عدم قدرتهم على فهم منهج الكتاب في التبويب والتنظيم، أما إذا قارنا طريقة التبويب لدى سيبويه بطرق التبويب لدى النحاة المتأخرين فإننا نلمس لا محالة الفروق الشاسعة والدقيقة، وكان من الأولى لهم أن يتبعوا منهج سيبويه، لماله من الدقة والأحكام في الترتيب والتبويب، هذا ولو جعلت أبواب الكتاب على غير هذه الطريقة كأن يوضع باب موضع باب آخر لاختل نظام الأبواب.

إلا أن منهج التبويب في الكتاب لقي النقد اللاذع من قبل بعض المحدثين من حيث المنهج، كما ذهب ( الناصح الخالدي في كتاب مناهج التأليف النحوي من سيبويه إلى ابن هشام ، 2015، 202) خاصة فيما يتصل بخطة الكتاب في وضع الأبواب النحوية، كوصفه بالتداخل في الأبواب، وأن موضوع الباب الواحد متفرق عبر عدة أبواب، ولكن لا يمكن أبدا نفي حقيقة أن كتاب سيبويه وهو أول كتاب وصل إلينا سجل سبقا منهجيا في تبويبه يعد مفخرة في التنظيم<sup>1</sup>، وعليه نستنتج ما يأتي:

1- لا يمكن تعميم أقوال الذين حكموا على كتاب سيبويه بالخلو من المنهج أو الاضطراب والخلط بين أبوابه؛ لأنهم لم يخصصوا مؤلفاتهم لدراسة منهج الكتاب بصفة خاصة، بل جاء كلامهم وأحكامهم بناء على دراسات جزئية، إما بدراسة باب نحوي على حدة أو ظاهرة لغوية نحوية أو صرفية، وعليه لا يمكن إصدار حكم قاطع أو الجزم بخلوه من المنهج (غازي، 2003، صفحة 32) فلا بد من الاعتماد على أولئك الذين كرسوا جهدهم في التعمق في كتاب سيبويه ومنهجيه أمثال الدكتورة خديجة الحديثي و الدكتور عبد الرحمن حاج صالح رحمة الله عليهما وغيرهم، فإذا تم الاعتماد على مثل هذه الدراسات، فإنه يمكن حينئذ الاطمئنان إلى ما يصدر عنها من الأحكام.

2- إن النحاة الذين اتهموا خلو كتاب سيبويه من منهج معين، منهم من يرجع اتهامهم إلى عدم قدرتهم على فهم منهج سيبويه، ومنهم من يلاحظ عليهم الاضطراب في أقوالهم، وعدم الثبات على رأي واحد واضح وسديد، ومن ثم يعودون للدفاع عن سيبويه، منهم علي النجدي إذ قال: «على أن ثمة أبوابا تبدو في مواضعها غريبة مقحمة» (كاظم البكاء، 2004، الصفحات 1-2) ثم رجع عن رأيه في قول آخر ردا على من اتهم الكتاب بعدم وجود طريقة يجري عليها سيبويه في أبواب كتابه، وأنه لا بد من الرجوع إلى مباحث الكتاب، وإمعان النظر في الفهارس والتدقيق فيها ليكون حكمنا مبينا ومقنعا...<sup>2</sup>

3- عدم اتهام كتاب سيبويه بالاضطراب في الأبواب بتعميم الاضطراب على كل الكتاب وتداخل أبوابه، لأن هذا الاضطراب إن حصل فإنه لا يعدو أبواب القسم والمنوع من الصرف، وهي لا تشكل شرحا لنظام الأبواب وسعيها في الترتيب، فينبغي أن لا نحكم بالجزء المضطرب على الكل المنتظم.

4- أثبتت جل الدراسات أن ما اتهم به كتاب سيبويه من أن تقديم أبواب من حقها التأخير وتأخير ما حقها التقديم غير صائب، وقصدوا بذلك أبواب الصرف، فقد كان لسيبويه رأي آخر في هذا الشأن، فلم يكن التصريف عنده إلا أربعة أنواع هي: الأبنية، الإعلال، الإبدال، والقياس اللغوي (غازي غادة، 2015، صفحة 382).

5- لقد وضع سيبويه كتابه وفق سلسلة مترابطة لا يمكن النظر إلى حلقة بمعزل عن الحلقة الأخرى، ويعد المنهج الذي اتخذ سيبويه في تصنيف أبواب كتابه حسب الوظيفة النحوية للكلمة في التركيب.

6- إن منهج سيبويه في التبويب يعد غاية في العلمية والدقة، ولا بد من ضرورة سير المؤلفات النحوية على منهجه في التبويب، فهو أقوم وأصح منهج لا بد أن يعتمد عليه كل دارس أو باحث.

### 3. مفهوم الباب النحوي كمجموعة رياضية عند سيبويه

#### 1.3. مفهوم الباب النحوي :

وعرفه عبد الرحمان حاج صالح مركزا على رياضية الفكر عند النحاة المتقدمين قائلا: «هو مجموعة من العناصر تنتمي إلى فئة أو صنف و تجمعها بنية واحدة» (الحاج صالح، 2012، صفحة 318 ج1)، ومعناه أن الباب يضم العناصر المدرجة فيه على أساس اشتراكها في البنية، لا لعل الشبه كما فسره اللسانيون المحدثون بالمفهوم الأرسطي.

ويقول أيضا: «يطلق الباب أولا على المجموعات المرتبة من الحروف الأصلية للكلمة الثلاثية مثل: ضَ رَ بَ - رَ بَ وَغيرهما، ويتجاوز سيبويه هذا المستوى فيسمي أنواع التراكيب أبوابا ..» (الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، 2012، صفحة 135) ويقول في موضع آخر: «الباب كمفهوم رياضي هو مماثل لما يسمى الآن بالمجموعة» (الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، 2012، صفحة 134)، ويقصد بذلك أن الباب يضم مجموعة من النظائر، حيث يتم تشكيل هذا الباب بانتماء العناصر داخل المجموعة لاشتراكهم في البنية، لا لضرب من الشبه كما فهمه نخاة القرن الرابع الهجري، ويؤكد ذلك في موضوع آخر معبرا عن المفهوم الحقيقي الذي قصده الخليل وتلميذه سيبويه، و الذي يعكس الفكر الحقيقي الذي ساد الدراسات اللغوية عامة، والدراسات النحوية خاصة أن الفكر الخليلي كان فكرا عربيا خالصا، ومختلفا عن الفكر اليوناني و بالضبط المنطق الأرسطي، حيث يقول: «نجد كثيرا كلمة باب للدلالة على مجموعة من الأشياء إلا أنها لا ترادف أبدا الجنس» (الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، 2012، صفحة 134).

وفي هذا التحديد يفرق عبد الرحمان الحاج صالح بين مفهوم الباب ومفهوم الجنس، وهو تفريق يدل في حقيقته على الفرق بين التفكير الخليلي والتفكير الأرسطي.

فالمقصود بالجنس هو قيامه على الصفات الذاتية المشتركة، فانتماء عناصر الجنس إلى مجموعة ما أو مقولة طرازية، يشترط فيه أن تتوفر في العناصر المنتمية إلى المقولة خصائص الشبه، فإذا كان المفهوم الأرسطي للجنس يحتم أن يقوم على مجرد الصفات الذاتية له فإنه يختلف عن مفهوم الباب.

ويربط حسن خميس الملخ مفهوم الباب بالدلالة اللغوية، انطلاقا من التعريف الذي قدمه أبو البقاء الكفوي، حيث يقول: «لا يبعد أن يكون النحاة قد استعاروا مصطلح الباب من باب المنزل؛ لأنه يُدخل إلى المنزل، قال الكفوي: "الباب في الأصل مدخل، ثم سمي به ما يتوصل إلى الشيء"، فإذا قلنا: "باب الفاعل" فكأننا قلنا: الباب الذي يدخل إلى قضايا الفاعل ومسائله، وقضايا الفاعل ومسائله - على تنوعها- ينتظمها خيط منهجي واحد يحدّد مفهوم الفاعل أو القاعدة الكلية لباب الفاعل» (الملخ خميس حسن، 2007، صفحة 228)

وفي هذا التحديد ينطلق حسن الملخ من أنَّ الباب هو المدخل الرئيس الذي يلج به النحوي إلى باقي المسائل الجزئية، والباب بهذا المفهوم هو عنصر جامع للمتفرقات التي تشترك كلها في وحدة الباب، ولذلك عبر عنه بالقاعدة الكلية التي تندرج تحتها مجموعة من القواعد الفرعية.

ويبدو تعريف عبد الرحمن الحاج صالح أكثر دقة من تعريف حسن الملخ؛ وذلك أن الملخ انطلق في تحديده من طرق تصنيف الكتب النحوية، والتي تعتمد على إدراج المسائل الفرعية ضمن مدخل عام، وهذا أشبه بطرق تبويب المعاجم اللغوية التي تقسّم إلى أبواب بحسب حروف المعجم، ثم يقسم الباب إلى مداخل رئيسة ومداخل فرعية، وتُدرج المداخل الفرعية وهي المشتقات تحت المدخل الرئيس وهو الجذر أو الأصل المشترك بين الفروع المشتقة عنه.

ويشترط في بناء الباب النحوي جملة من الشروط إنَّ خطوة بناء الباب النحوي هي تنويع لعملية جمع النظائر التي قام بها النحاة عن طريق استقراء المادة اللغوية، ولا بد من أن تكون عناصر الباب متناظرة ومتكافئة مع بعضها، وهذا هو شرط انتماء أيّ عنصر لغوي إلى باب معين، وهو ما يولده قياس النظائر؛ ذلك «أن آلية تبويب مواد الباب النحوي عملية معقدة تتضافر فيها جملة من العوامل منها استقصاء ظواهر اللغة بوسائل متنوعة، وذلك عن طريق وصفها ضمن مستوى واحد، بغية استنباط القواعد العامة التي تحكم البناء اللغوي الكلي، ليتم فيما بعد تصنيفها وتبويبها تبعاً للقاعدة العامة التي تحكمها» (حسن أحمد، 1996، صفحة 60)، فشرط بناء القاعدة الكلية يتطلب عناصر متكافئة المبني النحوي كقولك:

كتب زيد الدرس / تكافئ / ضرب زيد عمرا

كما يشترط أن يكون الباب مطرداً في نفسه؛ لأنه قد يكون مطرداً في غيره، فالباب المطرد في نفسه هو الذي يقاس عليه، ويصبح قاعدة من قواعد العربية، أما ما كان قليلاً أو شاذاً فيحفظ ولا يقاس عليه "كالباب وحيد العنصر"، أو "الباب خال المجموعة"، فما اطرده كان مما استحسنه العرب وقاسوا كلامهم عليه، لذلك قال سيبويه: «فاستحسن من هذا ما استحسن العرب وأجزه ما أجازوه» (الكتاب، 1988، صفحة 69 ج2)، ويقول أيضاً: «...الأقل نوادر تحفظ عن العرب، ولا يقاس عليها لكن الأكثر يقاس عليه». (الكتاب، 1988، صفحة 8 ج2)

وتجدر الإشارة إلى أن رفض بناء الباب على الشاذ والقليل إنما يكون إذا وُجد ما هو كثير ومطرّد ينقض ذلك القليل، أما إذا كان ذلك القليل هو كل ما ورد في بابه ولم يرد ما ينقضه في الباب، فإنه يجوز بناء قاعدة عليه، وقد عقد ابن جني باباً في جواز القياس على ما يقل، واستشهد على ذلك بقولهم في النسب إلى شنوءة<sup>3</sup>: "شئني"، ومع أن هذا اللفظ هو الوحيد الوارد في بابه إلا أنه أجاز القياس عليه، فيقال في النسب إلى "قتوبة": "قَتَيْي"، وإلى "ركوبة": "ركَيْي"، وإلى "خلوبة": "خَلَيْي"؛ وذلك لأنهم أجروا فعولة مجرى فعيلة، نحو قولهم في النسب إلى "حنيفة": "حنفي"

<sup>3</sup> - شنوءة من الشنآن وهو اسم لقبيلة سميت بذلك لعلّ نسبهم وحسن أفعالهم.

وعقد السيوطي بابا في أحوال المسموع الفرد والاحتجاج به، ومنها « أن يكون فردا، بمعنى أنه لا نظير له في الألفاظ المسموعة، مع إطباق العرب على النطق به، فهذا يُقبل ويحتجُّ به، ويقاس عليه إجماعا، كما قيس على قولهم في "شنوءة" : "شئني"، مع أنه لم يسمع غيره؛ لأنه لم يسمع ما يخالفه، وقد أطبقوا على النطق به» (ابن جني أبو الفتح، 1956، صفحة 116، ج1).

#### 4. (التناظر) التكافؤ وعلاقته بمفهوم الباب النحوي

##### 1.4. مفهوم النظر:

أ. النظر لغة: ذكر صاحب (المعجم الوسيط 196 في مادة نظر ص932) النظر في اللغة هو المثل والمساوي، والمكافئ، ومن هذا المعنى استعير مصطلح النظر في النحو.

##### ب. النظر اصطلاحا:

يعرف عبد الرحمن الحاج صالح النظر بقوله: « النظر في النحو إذن هو العنصر المساوي أو المكافئ لعنصر آخر، أو لمجموعه من العناصر وقد لا يشبهه إطلاقا» (الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، 2012، صفحة 138)، «ومساواة شيء لشيء على مستوى النظائر هو إما في البنية، أو المجرى، أو العمليات التحويلية التي ينتقل بها العنصر اللساني من باب إلى باب، فالتناظر في البنية مثلا أن نجد أن كل مكون من مكونات الكلمة ( اسم أو فعل ) يقابلها مثيلها في كلمة أخرى أو أكثر» (بن حجر، 2022، صفحة 226، ج2) وسنمثل لذلك بأمثلة من الكتاب لسيبويه.

##### 1.3 ترتيب مادة الكتاب وفق المجموعة الرياضية القائمة على التكافؤ الرياضي .

لقد رتب سيبويه أبواب كتابه على أساس الوظيفة النحوية التي تؤديها الكلمة في التركيب، فالكلمات في الجمل العربية تقع إما مبتدأ أو خبرا أو فاعلا أو مفعولا به... وعلى هذا الأساس كان ترتيب أبواب الكتاب، وهذه الطريقة انتهجها عدة نحاة، ومنهم المبرد في كتابه "المقتضب"، فإذا كانت علاقة الأبواب علاقة وظيفية فما هو مفهوم الباب النحوي عند سيبويه وكيف كان تمثله لهذا المفهوم يا ترى؟

ذكرنا فيما سبق أن مفهوم الباب النحوي لدى سيبويه هو مفهوم رياضي استنبطه من شيخه الخليل، الذي استوحى هذا المفهوم الرياضي اللساني من محض أفكاره «فالخليل وإن لم يجرد هذه النظرية على شكل مجموعة من الأصول مع التمثيل لها، فإنه أجرى عددا من العمليات الرياضية، ورسم رسوما كالدوائر، والجدير بالذكر أن الخليل بن أحمد هو نفسه الواضع للنظرية؛ لأنه لا يمكن أن يجري هذه العمليات ولا أن يرسم هذه الدوائر بهذا الشكل وبهذا التعليق إلا من قد وضع الأصول التي يؤسس عليها كل هذا» (الحاج صالح، 2012، صفحة 70)، وعرفنا فيما سبق أيضا أن سيبويه قد تمثل مفهوم الباب النحوي بالمفهوم الرياضي الخليلي.

ويعد الكتاب لسبويه أشهر كتب النحو العربي، فقد نقل سبويه فكر الخليل ودونه، ويمثل ما جاء به من أبواب نحوية خطوة أولى للتعريف بعلم العربية، وعليه فإن أي درس لقاعدة ما يجب أن يتم مبتدئاً بهذه الأبواب التي اصطلاح عليها سبويه واستفاد منها من تبعه من النحاة، وساروا عليها في تبويب كتبهم، وبنوا عليها قواعدهم النحوية، «فهذه الأبواب كانت انعكاساً للحركة العلمية والنشاط العلمي في هذه المرحلة أكثر من كونها قواعد نحوية معيارية» (عمر فاروق، دت، صفحة 12).

وقد تصدر كتاب (سبويه، 1988، ج1، صفحة 12) الحديث عن تقسيم الكلم إلى اسم، وفعل، وحرف ضمن (باب علم ما الكلم من العربية)، ثم حركات الإعراب والبناء فالرفع والنصب والجزم لحروف الإعراب، حيث يبين أن حروف الإعراب للأسماء المتمكنة، وللأفعال المضارعة لأسماء الفاعلين التي في أوائلها الزوائد الأربع، الهمزة والتاء والياء والنون وذلك قولك تفعل أنا وتفعل أنت والنصب في الأسماء كرايت زيدا، والجر مررت بزيد ... والرفع هذا زيد، وليس في الأسماء جزم لتمكنها وللحاق التنوين، فإذا ذهب التنوين لن يجمعوا على الاسم ذهابه وذهاب حركته، والنصب في المضارع من الأفعال، "لن يفعل"، والرفع "سيفعل"، والجزم: "لم يفعل"، وليس في الأفعال المضارعة جر كما أنه ليس في الأفعال جزم لأن المجزوم داخل المضاف إليه معاقب التنوين وليس ذلك في التنوين، وهذا الجزم في الأفعال نظير الجر في الأسماء يحقق التناظر والتكافؤ بين مجموعتين الأفعال والأسماء، وبلي هذا الباب باب آخر هو باب "المسند والمسند إليه"، يقول فيه: «وهما مما لا يغني واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدا». (الكتاب، 1988، الصفحات 23-24)

ولم يتحدث سبويه عن أحوال وقوع الاسم فهو قد يقع مبتدأ وقد يقع خبراً أو فاعلاً، ثم تحدث عن كان وأخواتها في (باب الفاعل الذي يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول واسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد)، وهو يقصد باسم الفاعل واسم المفعول (المبتدأ والخبر).

والمتتبع لأبواب كتاب سبويه سيلاحظ أنه كان يضع القضايا النحوية التي يناقشها في باب شامل تدرج تحته أبواب صغرى، هي عبارة عن مجموعات جزئية متضمنة داخل مجموعة كلية، وهذا هو منهج سبويه في كتابه؛ منهج رياضي لساني كما سنوضح القول فيه لاحقاً، ثم يأتي باب (كان وأخواتها)، (باب التعجب) و(باب التنازع)، (وواب الاشتغال) ثم (باب تعلق الظن وأخواتها) و(أبواب عن إعمال اسم الفاعل والصفة المشبهة) ثم (جملة أبواب من المنصوبات)، إلى أن ينتهي عند الحرف في (أبواب متناثرة).

وعليه فإن منهج الكتاب في ترتيبه كان جازياً على نسق علمي منهجي دقيق وما جاء به من لفظ الباب في عناوين المواد كان يمثل ذلك كما سنرى، فما قصده سبويه من هذا اللفظ هو المجموعة الرياضية، وهذا يدل على نضج نظرية علمية شاملة لترتيب مادة النحو، كما يكشف عن العلاقات الجزئية بين الأبواب النحوية، باعتبار هاته الأبواب الجزئية منتظمة إلى أبواب كلية، وهذا ما يمثل في المفهوم الرياضي الحديث المجموعة المتضمنة في مجموعة أخرى، فأبواب الاستثناء تتابعت لتشكّل فيما بينها مجموعة كلية متسلسلة، ومثاله ما ورد في باب الحال، فسيبويه يضمن الحديث عنه في عدة أبواب، فالحال باب جزئية متضمنة في مجموعة كلية، فيعقد باباً بعنوان: «... هذا باب ما يعمل فيه الفعل فينصب وهو

حال وقع فيه الفعل وليس بمفعول ، ثم يعقد باباً آخر أسماه "باب ما ينتصب من المصادر لأنه حال وقع الأمر فانتصب لأنه موقع فيه الأمر» (الكتاب..، 1988، صفحة 325، ج2)، ثم يعقد باباً ثالثاً أسماه "هذا باب ما ينتصب لأنه حال وقع فيه الأمر وهو اسم"، ويعقد باباً رابعاً: « وهذا باب ما ينتصب لأنه حال صار فيها المسؤول و المسؤول عنه »

(الكتاب..، 1988، صفحة 60، ج2) ، وخامساً: «وهذا شيء ينتصب على أنه ليس من اسم الأول ولا هو هو » (الكتاب..، 1988، صفحة 120، ج2) وعليه فإن جميع هذه الأبواب هي أبواب جزئية ضمن باب كلي وهو باب الحال، والجامع بين عناصر الباب الواحد هو الاشتراك في البنية الواحدة، أو المجرى الواحد، وهذا ما غفل عنه الكثير من علماء النحو، وبقي الغموض في هذه المفاهيم الرياضية المنطقية والمنهجية المتبعة في ذلك، وهو ما أفرز شيئاً من الصعوبة والاضطراب، ومنه كان اتهام أبواب الكتاب بالترقية والخلط والاضطراب باطلاً تمام البطلان.

### 2.3. أمثلة عن تكافؤ عناصر الباب النحوي عند سيويه:

عرفنا فيما سبق أن مفهوم الباب النحوي لدى سيويه هو مفهوم رياضي، وهو حاصل قسمة التركيب، وينتج الباب النحوي عن طريق تكافؤ العناصر فيما بينها، وتناظرها في البنية، وفيما يلي عرض لنماذج نحوية رياضية متكافئة العناصر.

يقول سيويه: (هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين فإن شئت اقتصرت على المفعول الأول وإن شئت تعدى إلى الثاني كما تعدى إلى الأول)، (الكتاب..، 1988، صفحة 38، ج1) وذلك نحو:

#### الجدول 1:

| فعل  | فاعل     | مفعول 1 | مفعول 2       |
|------|----------|---------|---------------|
| أعطى | عبد الله | زيداً   | كتاباً        |
| كسو  | ت        | بشراً   | بردة          |
| اختر | ت        | النساء  | مريم          |
| سمي  | ت        | هـ      | مُحمّداً      |
| كني  | ت        | هـ      | المعتصم بالله |
| نادي | ت        | هـ      | خالد          |

المصدر: بن حجر مُحَمَّد، 2022، ج2، ص14

الفاعل في الجملة الأولى هو الأصل، وظهر هنا (فاعلاً ظاهراً)، وهو النموذج الذي يحتذي به المتكلم في كلامه، ويبقى أن يقيس عليه كلامه، أما في المواضع الأخرى فنلاحظ أن الفاعل ورد ضميراً، وهو فرع يتعين في حالة ورود الفاعل ظاهراً أو مستتراً، ثم يوضح سيبويه ذلك في باب جزئي آخر، و ورود الفاعل مستتراً كان أو ظاهراً: «وهذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين وليس لك أن تقتصر على أحد المفعولين دون آخر» (الكتاب، 1988، صفحة 39، ج1)

## الجدول 2:

| فعل | فاعل     | مفعول 1 | مفعول 2  |
|-----|----------|---------|----------|
| حسب | مُحَمَّد | زيداً   | بطلاً    |
| ظن  | عمرو     | خالداً  | أباك     |
| خال | عبد الله | زيداً   | أخاك     |
| رأى | عبد الله | زيداً   | مستعجلاً |
| وجد | عبد الله | زيداً   | ذا مرة   |
| علم | ت        | زيداً   | الظريف   |
| زعم | عبد الله | زيداً   | أخاك     |

المصدر: مُحَمَّد بن حجر، 2022، ج2، ص15

هذا الجدول موضوع بحسب الأفعال التي تستلزم مفعولين ولا تقتصر على مفعول واحد، ونظيرها في ذلك كل من (ظن، خال، رأى، وجد، علم، زعم)، وعليه فإنهما متكافئان، وكل من هاتاه الأفعال تستلزم مفعولين ولا تكتفي بمفعول واحد.

يقول سيبويه: « وهذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى ثلاثة مفاعيل، ولا يجوز أن تقتصر على مفعول منهم واحد دون الثلاثة؛ لأن المفعول هاهنا كالفاعل في الباب الأول الذي قبله في المعنى». (الكتاب، 1988، صفحة 41، ج1)، ويمكن التمثيل لهذا الباب بالجدول التالي:

### الجدول 3:

| فعل | فاعل | مفعول 1 | مفعول 2 | مفعول 3  |
|-----|------|---------|---------|----------|
| أرى | الله | بشراً   | زيداً   | أباك     |
| نبأ | ت    | زيداً   | عمراً   | أبا فلان |

المصدر: مُحَمَّد بن حجر، 2022، ج2، ص 15.

وهذه الأفعال تعدت فاعلها إلى ثلاثة مفاعيل لا أكثر ولا أقل، فالفعل "أرى ونبأ" متكافئان في كونهما يتعديان الفاعل إلى ثلاثة مفاعيل لا أكثر.

### الجدول 4:

«هذا باب المفعول الذي تعداه فعله إلى مفعول» (الكتاب، 1988، صفحة 50، ج1)

| الفعل المتعدي إلى مفعولين | نائب الفاعل | المفعول به الثاني |
|---------------------------|-------------|-------------------|
| كسبي                      | مُحَمَّد    | التياب            |
| أُكسب                     | مُحَمَّد    | المال             |
| عُلم                      | خالد        | علما نافعا        |

المصدر: مُحَمَّد بن حجر، 2022، ج2، ص16

### 4. خاتمة:

نستنتج مما تقدم أن سيبويه تمثل جيداً مفهوم الخليل للباب النحوي باعتباره مجموعة رياضية تقوم عناصرها على التكافؤ والتناظر، وهذا ما يولده لنا قياس النظائر وهو الذي يقيس عليه المتكلم كلامه من مجموعة العناصر اللغوية التي يمتلكها؛ «لأنه هو المثال الذي تجري عليه جميع هذه العناصر أي النظائر المنتمة إلى باب واحد»

وتكافؤ نظائر الباب في المجرى الواحد يضمن أن تكون عناصر الباب مطردة في الباب وغير مطردة في واقع الاستعمال، فقد لا يوجد للعنصر أثر في واقع الاستعمال كما ذكرنا في الباب ذي المجموعة الخالية، فيبقى متصورا في الذهن غير متحقق في الواقع، وعليه فإن مفهوم الباب عند سيبويه أرقى من مفهوم الفئة البسيطة أي الجنس الذي تندرج تحته فصول وأنواع والتي تقوم على علة الشبه، فليس المقصود بالعلة هو الشبه والتطابق، وإنما نظر إليه سيبويه على نحو ما رآه شيخه الخليل، أي من ناحية منطقية رياضية ولذلك وجب علينا استثمار فكر لخليل في صياغة نظريات لسانية من صميم الدرس اللساني العربي الأصيل لا من خلال ترجمة نظريات لسانية غربية مستقاة من التأمل في لغات أجنبية وقولبة اللغة العربية حسبها، كما لا بد من استثمار الفكر الرياضي الخليلي في حوسبة اللغة العربية وفق مقتضيات العصر فالخليل وإن كان سباقا بقرون في نظرياته إلا أنه معاصر بمنهجه وأفكاره القائمة على أبجديات الفكر الرياضي، كما إن امتلاك اللغة العربية لنظرية بهذا المفهوم عامل من عوامل حمايتها من الزوال والاندثار ودفعها إلى التطور والانتشار، وتوسيع دور اللغة في ميادين علمية واجتماعية على نطاق واسع .

## 5. قائمة المراجع:

### المؤلفات:

1. أمين أحمد، (1933)، ضحى الإسلام، مكتبة الاعتماد، مصر، ج1، ط1.
2. ابن جني عثمان أبو الفتح (1956)، الخصائص، تح: النجار محمد علي، المكتبة العلمية، القاهرة، مصر، ج1.
3. بن حجر محمد، (2022)، الاستدلال في كتاب سيبويه طبيعته وأنماطه، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ط1، ج2.
4. الحاج صالح عبد الرحمان، (2012)، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الرغبة، الجزائر، ج2، ط1.
5. الحاج صالح عبد الرحمان، (2012)، منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، الرغبة، الجزائر، ط1.
6. الحديثي خديجة (1965)، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، مكتبة النهضة، القاهرة، مصر، ط1.
7. الحسن المثنى عمر الفاروق (دت)، أثر كتاب سيبويه في التبويب عند النحويين، دار المنظومة، السعودية، دم.
8. الملمخ حسن خميس، (2007)، رؤى لسانية في نظرية النحو العربي، دار الشروق، الأردن، عمان، ط1.
9. حسن أحمد نوزاد، (1996)، المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، المكتبة الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1.
10. سيبويه، (1988)، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3..
11. ضيف شوقي، (2009)، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط7.
12. الطنطاوي، أبو محمد عبد الرحمان، (1995)، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، بيروت، لبنان.
13. كاظم البكاء محمد (2004)، الكتاب تصنيف منهجي و تحقيق علمي، دار سطور للطباعة، بغداد، العراق.

#### الأطروحات:

1. شكري ليلي، ( 1434-1435هـ / 2013-2014م) الباب النحوي بحث في المنهج (ماجستير)، قسم الآداب واللغة العربية كلية الآداب واللغات جامعة محمد خيضر بسكرة .
2. غازي غادة، (2003)، كتاب سيبويه في الدراسات النحوية الحديثة في العراق (ماجستير) ، قسم اللغة العربية، كلية الآداب جامعة العراق.

#### المقالات :

1. غازي غادة، (2015)، منهج سيبويه في ترتيب الأبواب النحوية، مجلة ديالي للبحوث الإنسانية، العراق، ع68، الصفحات من(360-379)